

اسم المادة: البيان الدعوي وأولوياته

من سلسلة: فقه الدعوة

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: البيان الدعوي وأولوياته
من سلسلة: فقه الدعوة
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

تكلمنا في المرة السابقة عن فضل الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- وعن معنى من معاني الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وقلنا إن الدعوة ممكن تكون دعوة بالمقال وممكن تكون دعوة بالحال، وإن الدعوة أحيانًا بتكون دعوة تعليمية أو دعوة تبليغية أو دعوة تربوية أو تزكوية، وإن أصناف الدعوة وأنواع الدعوة يحتاج الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يعووها حتى لا يحدث تنابز بالألقاب وانتقاص من أحد العاملين في الدين، وإن الدعوة بمفهومها العام تشمل جميع الإسلام، وإن يُدعى الجميع؛ كل الناس تحتاج إلى دعوة الله -سبحانه وتعالى- وإلى كلام الله -سبحانه وتعالى- وإلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وحاجة الناس إلى الوحي أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب، يعني حاجة الناس إلى الدين أعظم من حاجة الناس إلى الطعام والشراب.

وقلنا إن منطلق الدعوة هو الوحي؛ كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. وإن معايير الدعوة وأساليب الدعوة كلها ينبغي أن تكون مستقاة من كتاب الله ومن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

لا يخفى على الجميع إن البيان الدعوي أو الكلمات الدعوية أيضًا تحتاج منا إلى أن نراجعها من كتاب الله ومن سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

إن الله النهاردة نتكلم على موضوع من الموضوعات اسمه البيان الدعوي. يعني احنا النهاردة لو هنكلم ناس؛ لو احنا عايزين ندعو الناس إلى شيء، يا ترى هنكلمهم في إيه؟ إيه أولويات الدين؟ إيه الأولويات اللي هم محتاجينها؟ إيه أولويات الواقع عمومًا؟ ياترى نبدأ بإيه قبل إيه؟ ده مهم جدًا عند الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- إن هم يفهموا هم بيكلموا الناس في إيه وعايزين من الناس إيه؟ وهم إمكانياتهم إيه وعايزين يوصلوا الناس لإيه؟ لإن أحيانًا كتير الإنسان ممكن يتوه في الحياة، ممكن الداعي إلى الله مراهق؛ يدعو الناس إلى ما يُحب، هو بيحب حاجة معينة، أو هي بتدعو الناس إلى ما تُحِب؛ هي بتحب حاجة معينة فهي متأثرة بها فهي بتدعو إليها، فهي شايفة الحياة كلها من خلال هذا المنظور اللي هي عايشاه أو اللي هي التجربة البسيطة اللي هي شافتها.

ويختلف تماما الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- بالدعوة إلى تجربتي، الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- تختلف عن الدعوة إلى منهجي، الدعوة إلى الله تختلف عن الدعوة إلى اختياراتي، الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- تختلف عن الدعوة إلى ما أحب وأهوى في الدين، لإن كل واحد ممكن يكون له باب من أبواب الدين، ممكن يكون له نوع من أنواع التقوى مختلفة عن الآخر، "اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من

زكاها" إن كل إنسان ممكن يكون له تقوى مختلفة عن الآخر، يعني ممكن واحد يكون تقواه إن هو يصلي قيام الليل طويل، فيه واحد تقواه إن هو يتصدق، فيه واحد تقواه إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيه واحد إن هو يقول كلمة الحق ويجادل أهل الباطل.

فكل إنسان له باب من أبواب يدخل به على الله –سبحانه وتعالى–، فلا ينبغي إن الداعي إلى الله يتوه في نفوس الناس أو يتوه في مراده.

لذلك خلينا نضع أولويات كده أو نشير إلى إشارات سريعة إن فيه حاجة اسمها أولويات الدين، وفيه حاجة اسمها أولويات الشخص، وفيه حاجة اسمها أولويات الواقع أو المرحلة، يعني بمعنى أكثر وضوحًا؛ الدين له أولويات واضحة صريحة إن أنا ينبغي إن أنا أنقل الناس من الشيء المهم إلى الشيء الأقل أهمية، ولما أنا هدعو الناس أنا عندي ستلاف متين ستة وتلاتين آية، وعندي آلاف من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، يا ترى هدعو إلى إيه قبل إيه؟ وإيه القيمة اللي ينبغي أن تغرس في الناس؟ وإيه الحاجة اللي ينبغي إن أنا أعلمها للناس؟ وإيه الحاجة اللي ربنا –سبحانه وتعالى– أراد إنها تُعَلَّم للناس وتبلغ للناس إيه قبل إيه؟

انظروا إلى أم المؤمنين عائشة تتكلم عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ودعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– وهي تقول: أنه بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بالجنة والنار، أول ما نزل من القرآن المفصل؛ المفصل ده اللي هو من ق إلى الناس، اللي هي آيات بتتكلم عن الدار الآخرة، قالت أول ما نزل من القرآن المفصل وأول ما بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بدأ بآيات الجنة والنار، ولو بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بلا تقربوا الخمر لقالوا لا نتركه أبدًا، ولو بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بقوله لا تقربوا الزنا لقالوا لا نتركه أبدًا.

أم المؤمنين عائشة التقطت التقاط في دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– واضح؛ إيه هذا الالتقاط؟ هذا الالتقاط بيوضح إن مبنى الشريعة قائم على تمهيد القلوب لاستقبال أحكام الشرع، إن الناس خاطبهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أو خاطبهم الله –سبحانه وتعالى– بدايةً بالجنة والنار، ليه؟ حتى تُمَهَّد هذه القلوب، حتى تستقبل هذه القلوب الأحكام الشرعية.

بتقول لو كان أول حاجة بدأ بها كان بدأ بما تشربوش الخمرة كان هيبقى صعب، ما كانش ده هيبقى سهل التحقيق، لقالوا: يعني لو هو كان قال لهم كده في الأول هم كانوا هيردوا يقولوا لا لا مش ممكن نسيب الخمرة، لكن هو بدأ بإنه كلمهم عن الترغيب والترهيب، كلمهم بالموعظة الحسنة، كلمهم بذكر الثواب والعقاب، حتى لانت القلوب.

ملحوظة: أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– تركوا الخمر، وأصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– تركوا الزنا، وما كانش صعب عليهم إنهم يتركوا ده، ليه؟ ليه ما كانش صعب عليهم؟ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– سلك الطريق الصحيح في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–. لإن الدعوة لها منهج؛ سلم، فهو النبي –عليه الصلاة والسلام– صعد في مراتب الدعوة من درجة إلى درجة فكان سهل على الناس أنها تترك، صعب علينا الآن إن الناس تترك، ليه؟ لإن احنا لم نسلك منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

طبعا هناك أسباب أخرى لكن ينبغي أن نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوته إلى الله –سبحانه وتعالى–. وانظروا أيضًا إلى منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يوضح أولويات الدين، وده واضح جدًا في كتاب الله وهنتكلم النهاردة عن البيان الدعوي في سورة الشعراء، لكن منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو بيتكلم مع معاذ؛ ومعاذ أحد أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يرسله إلى اليمن معلمًا وحاكمًا، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: يا معاذ خذ هذا الكتاب وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– بيعلم معاذ بن جبل صحابي من صحابة النبي –عليه الصلاة والسلام–، قال له: أنا عايزك لما تروح تكلم الناس مش تكلمهم في أي حاجة، الفترة اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث فيها معاذ إلى اليمن كان نزل آيات كتير جدًا من الأحكام، كان نزل آيات الحجاب، وكان نزل آيات تحريم الخمر، وكان نزل آيات في كثير من الأيمان والعقود وتحريم لحم الخنزير كان فيه آيات كثيرة جدًا وأحاديث كثير جدًا وأحكام كثيرة جدًا نزلت، لكن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيوضح لما تيجي تكلم



الناس أول حاجة تكلمهم فيها قال: "فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه شـهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسـولُ اللهِ"[1]، قال له انت رايح تكلم ناس؛ الناس دي نصارى وأهل كتاب، عندهم كتاب قبل كده، فهم عندهم تصور عن التوحيد، لكن هذا التوحيد الذي عندهم تصور خاطئ عن التوحيد، فهم يثلثون؛ يعني يعبدون الآب والابن والروح القدس، فقال: ليكن أول ما تدعوهم إليه شـــهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسـول الله، فإن هم أطاعوك، فقل لهم أن الله افترض عليهم خمس صـلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك، فقل لهم أن الله افترض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، وإياك وكرائم أموال الناس، ثم بدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح لمعاذ كيف يدعو الناس إلى الله، إيه القيمة اللي يُدعى إليها؟ قال له: الأول ابتدي بالتوحيد، وبعد كده الصـلاة، وبعد كده الزكاة، وبعد كده الصيام؛ قال له: ثم قل لهم إن الله افترض عليهم الصـــيام ثلاثين يوم في الســـنة. هو هنا النبي –صـــلى الله عليه وســـلم– بيراعي أولويات النفوس، ويراعي أولويات الأهمية عند الله –سبحانه وتعالى–. إن دي يا جماعة حاجة اسمها أولويات الشرع، إن أولويات الشرع لا بد أن تكون واضحة عند الناس.

واحدة هتكلم صاحبتها في مسألة معينة وهي صاحبتها دي مش بتصلي أصلًا، يعني مثلًا هتكلميها في الحجاب وهي ما بتصليش؟ هتكلميها مثلًا في أن هي مصاحبة ولد وهي عاقة لأمها؟ فيه أولويات للدعوة، فيه أولويات للأمر الشرعي، فيه أولويات لدعوة الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ثم بعد ذلك أولويات الفرد نفسه إن أحيانًا بيكون الإنسان اللي أنا هدعوه ده هو أصلًا مصلي هو أصلًا محافظ على الزكاة هو أصلًا عنده كثير من المعاني الإيمانية فأنا مش معقول أقول هي نفس البدايات ونفس النهايات لكل الناس، إنما انت هتراعي هنا أولويات الشخص؛ أولويات الشخص ده إن مش كل الناس هتخاطب بكل شيء، يعني حتى في العقيدة كان شيخ الإسلام له تقرير جميل، وبيقول أنه ليست كل مسائل العقيدة يخاطب بها جميع الخلق في كل وقت، إن فيه مسائل من مسائل العقيدة ما ينفعش تخاطب بها الناس، واستدل بقول علي بن أبي طالب وابن عباس "ما أنت بمحَدّثٍ قَومًا حديثًا لا تبلُغُه عُقولُهم إلَّا كان لبَعضِهم فِتنةً" وقول الصحابي: "حدثوا الناس بما يعرفوه، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله" النقطة إن مش الكلام يتقال لكل حد حتى في مسائل العقيدة.

من العناوين اللي بتضايق الواحد صراحة؛ اللي يقول لك: ما لا يسع المسلم جهله، من فرض هذا؟ يعني لما واحد يقول: ما لا يسع معنى كده أنه جعل هذه المعلومات التي في هذا الكتاب الذي ألفه هذه المعلومات ينبغي أن تكون فرض على جميع الخلق، مين قال أن المعلومات بقى اللي موجودة هنا فرض على جميع الخلق؟ إذا كان أصلًا كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليس على جميع الخلق أن يفهموا كل شيء في كل الآيات والأحاديث، فهنا إن يا جماعة نقطة مهمة مسألة محتاجة مراعاة، هي أولويات الفرد، الحاجة اللي فرض اتفق العلماء على أن يُخاطب بها جميع الخلق في كل وقت هي الوحي، وإيه من الوحي؟ هل كل الآيات؟ يعني هل مثلًا الست اللي بتبيع فجل والراجل اللي تعليمه بسيط هل هو يُخاطب مثلًا بآيات الجهاد؛ إنه هو لا بد إنه يفهم كل آية في كتاب الله ويفهم كل حديث من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في المواريث أو في غيره من باقي العلوم؟ لا، هو مش مطالب بكل ده ولا مطالب أنه يفهم كل حاجة، إنما مطالب أن يتعلم على قدره.

إن مش كل الناس مخاطبة بكل شيء في كل وقت، هنا نقطة مهمة إن التكليف مختلف من فرد يتفاوت التكليف بين الناس، لإن مش كل الناس مكلفة بكل الآيات والأحاديث في كل وقت.

فلذلك مهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم هم بيكلم مين؟ ومهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم أولويات الأشخاص اللي قدامه، ومهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم الناس دي واقفة عند أي درجة أو هو محتاج ينقل لهم أي مفهوم.

[1] جامع الرسائل لابن تيمية



يبقى أول حاجة أولويات الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- على اعتبار الشرع اللي هي أولويات الشرع على حسب الأهمية وعلى حسب الترتيب. طبعا لا يخفى أن في أولويات الشرع إن الله -سبحانه وتعالى- يحب الأركان أكثر مما يحب الفرائض، يعني أعظم شيء يُدْعَى إليه الناس؛ أركان الإسلام ثم بعد ذلك الواجبات. حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله -سبحانه وتعالى- يقول: "مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه"[٢] -لو حد عايز يستزيد يسمع شرح هذا الحديث كنا شرحناه واحنا بنشرح الأربعين النووية- حديث من عادى لي وليا، يبقى أولويات الشرع أركان الإسلام، أولويات الشرع فرائض الإسلام، ثم بعد ذلك النوافل، لإن مش هينفع مثلًا تروحي تدعي واحدة إلى قيام الليل وهي مثلًا بنتاكل من حرام، لأ، أولى لكِ فأولى ثم أولى لكِ فأولى إنك انتِ تدعيها إلى ترك الحرام. واحد مثلًا ما بيصومش رمضان وانت هتدعوه إلى اللحية، لأ، أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى إنك انت تدعوه إلى صيام رمضان، إن احنا نبقى فاهمين أولويات الشرع عند الله -سبحانه وتعالى- وأولويات الفرائض عند الله -سبحانه وتعالى-، وأولويات المعاني والقيم "دِينًا قِيَمًا" الأنعام:١٦١ هذا الدين القيم العظيم، له معاني أهم من معاني، وله قيم أعلى من قيم.

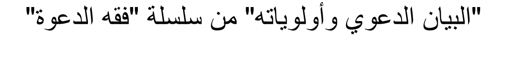
دي نقطة مهمة جدًا في أداء الحقوق وفي معرفة الحقوق وفي معرفة الفرائض وفي معرفة الواجبات، ثم بعد ذلك في المستحبات والنوافل وترك المكروهات والورع والتقوى.

النقطة الثانية أولويات الأشخاص، يبقى مراعاة أولويات الأشخاص في البيان الدعوي، إن انت بتخاطب مين؟ لإنك مش هتروح تكلم ناس ما بتعرفش حاجة مثلًا عن الدين، واحد مثلًا مش مسلم فانت بتكلمه عن تفصيلة من التفاصيل الشرعية في خلاف بين العلماء في مسألة معينة، هو طبعًا مش فاهم انت بتقول إيه أصلًا، هذا يدعى إلى القيم الرئيسية، وده أحيانًا الواحد بيشوفه على مواقع التواصل الاجتماعي، لما تلاقي بعض الإخوة والأخوات بيتكلموا في قضية من القضايا يعني اختلف فيها العلماء، مثلًا في تعظيم الرب قضية مثلًا من مسألة الأسماء والصفات والقضية اختلف فيها العلماء، قضية دقيقة من دقيق العلم الذي لا يفهمه حتى مجموعة من طلبة العلم أو مجموعة من الدعاة ممكن مش فاهمين هم بيقولوا إيه أصلًا، وتجده ينشر هذا الكلام على الملأ ويتكلم على الملأ في خلاف، هو فين الدعوة هنا يعني؟ يعني إلى ما يُدعى هؤلاء وفيما يتكلم هؤلاء ومع من يتكلم هؤلاء؟ فالنقطة الثانية نقطة مراعاة حال الأشخاص.

النقطة الثالثة مراعاة الواقع والمرحلة، يعني إيه؟ في حاجة اسمها يا جماعة واجب الوقت، يعني مثلًا في وقت غزوة أحد؛ خلاص هو الصحابة كلهم خارجين مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزوة أحد، مفيش حد هيقول أصل أنا لسه مسلم جديد، فبالتالي مش هينفع أخرج مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، لإن أنا لسه محتاج بقى أتعلم الأول ومحتاج إن أنا أتفقه الأول، ده هو الصحابي جه، فلقى النبي -عليه الصلاة والسلام- بيقاتل فقال له أقاتل ولا أسلم؟ قال له أسلم ثم قاتل فأسلم فقاتل، فقتل فمات، ولم يسجد لله سجدة زي مثلًا ما حصل في خيبر وزي ما حصل في أحد، إن هنا فيه حاجة اسمها واجب المرحلة، إن فيه واحد اقترب إلى ربه -سبحانه وتعالى- ووجد إن الناس في رمضان، هو هيصوم رمضان ويتعلم أحكام رمضان، مش هينفع أقول له لا لا لا انت ما ينفعش تصوم رمضان وتتعلم أحكام رمضان إلا لما يجيبك بقى من الأول خالص ويعلمك أصلًا معاني الإيمان والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء وكيف ينطلق قلبك في حب الله -سبحانه وتعالى-، ده اسمه واجب المرحلة.

---

[٢] صحيح البخاري




يبقى يا جماعة أولويات الدعوة إلى الله لها اعتبارات ثلاث هي:

رقم واحد الاعتبار الشرعي وده لا بد إنه يكون مرتب ذهنيًا في أذهان كل الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– كبيرًا أو صغيرًا على قدرهم، يعني مش كل الناس مطالبة إنها تعرف كل حاجة زي ما احنا بنقول، فكذلك الدعاة إلى الله مش هيقدروا يعرفوا كل حاجة، لكن على قدرهم إن هو يبقى بس عارف إيه قبل إيه؟ مش هينفع تكلم الناس عن شيء وما تكلمهمش عن الصلاة، مش هينفع تكلم الناس عن قيمة من قيم الشرعية الدقيقة اللي فيها مثلًا مستحب من المستحبات وهو مثلًا هذا الرجل لا يزكي أو هذه المرأة لا تعظم الله –سبحانه وتعالى–، فهنا نقطة مهمة مراعاة أولويات الشرع.

ثم النقطة الثانية مراعاة أولويات الأشخاص ومعرفة الأشخاص انت بتكلم مين وبتخاطب مين؟ ودول ترتيبهم إيه في الشرع؟ عشان لما تبدأ من عندهم تبدأ عند النقطة اللي هم محتاجينها وهذا من الحكمة في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– كما قرر العلماء.

والنقطة الثالثة هي نقطة مراعاة المرحلة، من المعاني الجميلة اللي قررها شيخ الإسلام في التحفة العراقية، وهو بيتكلم على الأعمال القلبية وبيقول إن اتفق العلماء على أن الجميع؛ جميع الناس مخاطبون بأصول الأعمال القلبية، يعني أنا النهاردة أكلم واحدة في مسألة معينة قبل ما أكلمها عن حب ربنا؟ قبل ما أكلمها عن الخوف من ربنا؟ قبل ما أكلمها عن الرجاء في ربنا –سبحانه وتعالى–؟ لأ، هو بيتكلم في معرض الكلام عن أهمية الأعمال القلبية بيقول إن العلماء متفقون على أنه الجميع؛ جميع الخلق يخاطبون بأصول الأعمال القلبية اللي هي عبر عنها إنها من أصول الإيمان وقواعد الدين، اللي هي مسألة الإخلاص والصدق مع الله –سبحانه وتعالى– وحب الله –سبحانه وتعالى–، هذا يخاطب به الناس، دي أولويات.

يعني كنا مرة بنطرح سؤال لو احنا نزلنا نكلم الناس في الشارع وعايزين نكلم شباب، هنعمل إيه مع شاب مثلًا؟ فطرح أحدهم نموذج من النماذج، قال أنا قابلت شاب عامل قزع ولابس سلسلة وبيشرب سيجارة وواقف قدام الجامع وقت الصلاة وبيتكلم في التليفون وبيسب لأمه في التليفون، يا ترى ندعو هذا الشاب لإيه بالظبط؟ فرد أحد الأفاضل وقال: أنا هجيبه من أعلى رأسه إلى أخمس قدميه، فقال له يعني إيه؟ قال له: أنا هكلمه في القزع و هكلمه في اللحية وأكلمه مش عارف إيه وأكلمه في إيه وأكلمه في الإسبال، فرد عليه الآخر قال له: لأ، الأولى إن أنا أكلمه في إن هو ازاي يسب لأمه؟ وازاي يتكلم مع أمه بهذه الطريقة في التليفون في الشارع؟ فرد التالت قال له وأنا واقف قدام الجامع وقت الصلاة، لا لا هو أول حاجة هنكلمه فيها هي إن هو يُكَلَّم في الصلاة، فرد الرابع وقال وأنا أول حاجة هكلمه فيها هو إنه يعظم الله –سبحانه وتعالى–، وإنه يحب الله –سبحانه وتعالى–، وإنه يخاف من الله –سبحانه وتعالى–، الإنسان اللي قلبه بعيد عن الله –سبحانه وتعالى– وهو لا يراعي من نظر الله –سبحانه وتعالى– ولا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله ولا يحب الله، وإن حب الله –سبحانه وتعالى– في قلبه ضعيف قليل حتى إنه لا يستطيع إن يواجه به متطلبات الحياة ولا متغيرات الحياة، هذا فيما يكلم من أعمال الجوارح؟!

فالشاهد؛ نقطة يا جماعة إن احنا محتاجين نراعي أولويات الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين نفهم أولويات الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– محتاجين نعرف احنا بنكلم مين وهنقول لهم إيه؟

في سورة الشعراء ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر مجموعة من الأنبياء وكيف أن الأنبياء واجهوا أقوام مختلفة، إن سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا شعيب وسيدنا نوح كل نبي من الأنبياء واجه قومه، وكان لهؤلاء القوم معاصي معينة وأولويات مختلفة، وربنا –سبحانه وتعالى– ذكر لنا في سورة الشعراء –والله –سبحانه وتعالى– عظيم لا يتكلم إلا بعظيم– ذكر لنا طرف من هذا البيان الدعوي، يعني الأنبياء تكلموا كلام كثير مع الأقوام لكن ربنا –سبحانه وتعالى– خلد ذكرى مجموعة من الجمل، مجموعة من الجمل ربنا –سبحانه وتعالى– ارتضاها –سبحانه وتعالى– وأنزل بها جبريل بعد مئات السنين أو آلاف السنين، ليعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– وليكون هذا القرآن يتلى إلى يوم القيامة على



اختلاف اللغات، يعني سيدنا شعيب بيتكلم بلغة تختلف عن لغة سيدنا هود تختلف عن لغة سيدنا صالح، فربنا –سبحانه وتعالى– نقل هذا الكلام لنا عبر العصور ليعلمنا باللغة العربية، ليعلمنا هذه المعاني وهذه القيم وأولويات هذه القيم.

لا شك إن البيان الدعوي بيختلف من وقت للتاني ومن قوم لقوم، ومن معصية لمعصية، ومن ظروف محيطة إلى ظروف أخرى على حسب مراحل الدعوة. فبيان الدعوة في وقت بداية الدعوة يختلف عن البيان الدعوي في وقت الحرب الإعلامية الشرسة على الدعوة، وهنشوف الآن كيف واجه الأنبياء وكل نبي كان بيواجه مجموعة من الناس وكان له تصور معين يختلف عن البيان الدعوي في مرحلة التحدي ومرحلة الاستئصال ومرحلة اللي هو: لأجعلنك من المرجومين، لأجعلنك من المخرجين، لأجعلنك من المسجونين، اللي هو سيدنا نوح وسيدنا موسى وسيدنا لوط اللي أقوامهم تحدوهم تحدي سافر، وقال له أنا هاقتلك والتاني قال له أنا هاخرجك والتالت قال له أنا هاعتقلك وهاسجنك، وكيف كان البيان الدعوي وكيف كانت دعوة الأنبياء إلى الله –سبحانه وتعالى– في مرحلة السلم وفي مرحلة الحرب.

يعني البيان الدعوي فيه جزء مشترك عند الأنبياء ربنا –سبحانه وتعالى– ذكره لنا في كتابه الكريم، في مواجهة الأنبياء لمعاصي الأقوام، وتبيين الفساد في حياة الناس، ودلالة الناس على الحق وهداية الناس إلى الخير، مع إن أحيانًا كان بيبقى فيه فترة فيها تشويه إعلامي شديد، الشعراء يا جماعة يعني هنا الشعراء؛ هؤلاء الإعلاميون، هؤلاء الإعلاميون في مكة في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، الشعر كان له مكانة كبيرة جدًا، كانت القبيلة اللي فيها شاعر كانت لها منقبة في وسط العرب. الشعراء هؤلاء الذين يتبعهم الناس، هؤلاء الذين يسحرون الناس بالكلام، الذين يقلبون الحق باطل والباطل حق، فيه سورة في القرآن اسمها سورة الشعراء عن هؤلاء الذين "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ" الشعراء٢٢٤:٢٢٦، الناس اللي وظيفتها الكلام، اللي بتعرف تغير بالكلام كل حاجة، اللي بتعرف تقنع الناس بالكلام بكل ما يحب هؤلاء.

فكيف واجه الأنبياء هؤلاء الشعراء؟ وكيف كان استفحال الفساد وطغيان الفساد في مرحلة من المراحل؟ وكيف كانت الدعوة مستضعفة في في وسط كثير من الناس؟ ومع ذلك كيف استطاع الأنبياء إن يحولوا هذا إلى نقطة قوة؟

فيه معاني عامة فيه أولويات عامة فيه أولويات مغيرة مش مؤثرة، يعني مش دعوة إن انت هتقول كلام أو انت هتقولي كلام فالناس تعيط وتقول الله الله جميل قوي الكلام ده، أنا عايز أبقى كده وخلاص، إنما ناس بتتغير فعلًا قيم مغيرة فعلًا.

هناك معاني قيمة قالها الأنبياء: نوح –عليه السلام–، ولوط –عليه السلام–، وهود –عليه السلام–، وصالح –عليه السلام–، وشعيب –عليه السلام– ومن أراد إن يتعلم الدعوة فليجتهد في مواد الدعوة، إيه مواد الدعوة يا جماعة؟ يعني أعرف منين أتعلم دعوة؟ لو أنا عايز أتعلم دعوة؟

طبعًا فيه كتب للدعوة وفيه كتب كتير بتتكلم عن أصول الدعوة وقواعد الدعوة وعلم الدعوة ومدخل علم الدعوة، المكتبة الإسلامية فيها كثير جدًا في الدعوة وفقه الدعوة والموازنات الدعوية، يعني قلما تجد عالم إلا وصنف في الدعوة، والمعاصرين لهم كتب كثيرة في الدعوة، لكن من أراد أن يتعلم الدعوة حقيقة وأن يسبر أغوار الدعوة فاقرأوا في قصص الأنبياء، اقرأوا في سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

هؤلاء هم نبراس، هؤلاء هم نموذج، "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام:٩٠، علينا أن نقتدي بهؤلاء في دعوتهم وفي بيانهم وفي أولوياتهم وفي خطواتهم التي سلكوها لتغيير الناس.

هناك معاني عامة ربنا –سبحانه وتعالى– سطرها في كتابه الكريم بل بنفس الكلمات، وده يا جماعة حاجة تخلينا نقف، إن ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر الكلمات مرة أخرى على لسان هود وعلى لسان صالح وعلى لسان شعيب وعلى لسان نوح، نفس الكلمات الله –سبحانه



وتعالى– سطرها في كتابه الكريم على لسان الأنبياء وإن اختلفت بعض المعاني من نبي إلى آخر على حسب قومه وعلى حسب معاصيهم وعلى حسب انتشار الفساد فيهم وعلى حسب أولويات الدعوة فيهم، لكن فيه كلمات كانت ثابتة عند الجميع.

طبعا المعاني اللي ربنا –سبحانه وتعالى– ذكرها لنا في كتابه الكريم وكررها الأنبياء، هذه مش محتاجة إن احنا نقول إنها هذه معاني مهمة، هذه معاني أصيلة، المعاني اللي نزل بها جبريل من فوق سبع سماوات، مع اختلاف الزمان بعد آلاف السنين ينزل سيدنا جبريل مرة أخرى من فوق سبع سماوات إلى الأرض ليخبر بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويعلمها للنبي –صلى الله عليه وسلم–، وتصبح قرآن يتلى إلى يوم القيامة، احنا مش محتاجين نفكر كتير حتى نفهم أن هذه الأشياء مهمة في غاية الأهمية، وأن هذه القيم الدعوية قيم مهمة جدًا في غاية الأهمية، وأن لنا فيها عبرة وعظة، وأنه علينا أن نفهمها ونتدبرها في هذه الفترة من عمر الدعوة والتي تلاقى فيها الشعراء والسحرة والكهنة والذين يشوهون الدين والذين ينتقصون من أهل الدين سواء في حرب إعلامية شرسة أو حرب مادية بين الحق والباطل.

تعالوا نشوف كده ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ –نوح، أخوهم هود، أخوهم صالح، أخوهم لوط، أَلَا تَتَّقُونَ" هنا يا جماعة معنى مهم قوي إن الله –سبحانه وتعالى– سمى الداعي إلى الله أخوهم، هو هنا دي أخوة إيه؟ فيه حاجة اسمها أخوة النسب وفيه حاجة اسمها أخوة الدين، وفيه أخوة القبيلة وفيه أخوة الأرض وفيه أنواع من الأخوات –فيه سلسلة على الساوند كلاود اللي عايز يستزيد اسمها الأخوة، لو حد عايز يستزيد عن هذا الباب– إن هنا هي دي أخوة إيه؟ دي أخوة القبيلة، أخوة النسب، إن الدعاة معروفين لدى الناس، معروفين لدى الناس بنسبهم، اللي هو "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" المؤمنون:٦٩، اللي هم "يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" البقرة:١٤٦، هم عارفينه، عارفين نسبه وعارفين أخلاقه وعارفين حياته وعارفين قصته وعارفين معاملاته، وهم عارفينه قبل كده إن هو صادق أمين، هم عارفينه.

نقطة إن الداعي مش جاي لابس لبس مختلف عن الناس عشان يتنطط على الناس، ولا جاي من بيئة مختلفة عن الناس يتنطط على الناس، ولا جاي في واقع مختلف عن الناس فالناس تقول ده مَلَك أو ده واحد مش عارفينه ما نعرفش جاي منين، ده واحد عايش وسطهم، مش واحد بينه وبين الناس مسافات، إنما يأكل كما يأكل الناس ويشرب كما يشرب الناس ويعيش كما يعيش الناس، ودي نقطة مهمة يا جماعة إن فيه ناس بتعيش في الدعوة احتياج أو نوع من أنواع الحياة اللي هي فيها استعلاء شوية، يا جماعة لو هنطلع من الدرس اللي احنا بنتكلم فيه النهاردة ده بالمعنى ده؛ حطوا تحت الكلمة اللي هقولهالكم دي عشر خطوط، <u>الداعي إلى الله يحتاج إلى ثواب الدعوة أكثر من احتياج المدعوين إلى الدعوة</u>، يعني أنا النهاردة أنا مش جاي أكلمك عشان أنا عندي شوية معلومات جاي أدلدقها، ولا جاي أفرغها عندك، ولا عندي شوية استعلاء كده حابب إن أنا أقوله، إنما أنا محتاج ثواب، أنا محتاج أنجو من عذاب الله، أنا محتاج إن ربنا ينجيني، فالداعي إلى الله يحتاج إلى ثواب الدعوة أكثر من احتياج المدعو إلى هذا الكلام، لأن الله –سبحانه وتعالى– يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وإن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يهدوا رجل واحد ما اهتدى هذا الرجل حتى يأذن الله –سبحانه وتعالى–، الله –سبحانه وتعالى– لو شاء لجمع الناس على الهدى، إنما الداعي هو اللي محتاج الثواب.

هنا نقطة إن الداعي لا يستعلي على الناس، إن الداعي لا يتعامل مع الناس بنوع من أنواع الاستعلاء، إنما يتعامل مع الناس بنوع إن هو واحد وسطهم، ما يبقاش بينه وبينهم مسافات، وده مش معناه إن أنا عشان أدعو الناس إلى الله لازم أفضل أصاحبهم وأحبهم ويقول لك فترة المحبة وفترة الأخوة ولازم أزيل العقبات وأزيل العوائق وأشيل الحواجز لا لا لا، ده مش معناه ده؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا يعرفونه ويعرفون نسبه، وبعدين النبي –عليه الصلاة والسلام– لما بعث النبي –عليه الصلاة والسلام– انطلق داعية، ذهب إلى أبي جهل وذهب إلى أبي لهب وذهب إلى أبي بكر وذهب إلى علي، خاطب الناس خطابًا واضحًا، أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله، فيه ناس قبلت وفيه ناس رفضت، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– ما عملش ماتش لأبو بكر الصديق وقال لك والله تعال أما نعمل جولة ولا نعمل حفلة



ولا نعمل خروجة ولا نعمل جلسة ولا نعمل مش عارف نشاط اجتماعي الأول، وبعد كده نتعرف وبعد كده نتحاب وبعد كده نتواد وبعد كده بعد بقى ١٣ سنة أبقى أكشف له عن الغطاء وأقول له على فكرة أنا كنت بدعوك إلى الله، لا لا لا، هو من أول يوم النبي –عليه الصلاة والسلام– ذهب إليه داعيًا.

فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– داعيًا واضحًا وهذا مهم في الدعوة، كلمة أخوهم ده يا جماعة بتحسسك بنوع من أنواع الألفة، بنوع من أنواع إن هم يعرفونه، بنوع من أنواع إن هم فيه بينهم وبين بعض علاقة، وهذا مهم.

وفيه ناس تطرفت، فيه واحد قرر إن هذه العلاقة هي الحاجة الأساسية في الدعوة إلى الله، فما ينفعش دعوة من غيرها، وفيه واحد قرر إن هو يتعامل مع الناس بنوع من أنواع الاستعلاء، والحقيقة إن الصواب بين هذا وهذا، لا ينبغي أن نتعامل مع الناس باستعلاء لإن أنا النهاردة بكلمك وانت بكرة بتكلمني، "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"[٣]، والنقطة الثانية إن مش معنى إن هو أخوهم معناه إن هو لازم يكون بينه وبين كل واحد يدعوه إلى الله علاقة قوية وطيبة، ده يعني لو احنا عملنا كده ما كنش النبي –صلى الله عليه وسلم– لا هاجر إلى المدينة ولا أقام دولة ولا دخل الناس في دين الله أفواجًا، لو جعلنا شرط الدعوة المعرفة والمحبة والمودة كما يشترطها بعض الكتاب في علم الدعوة.

يبقى رقم واحد قال لهم أخوهم نوح أو أخوهم هود أَلَا تَتَّقُونَ، إن يا جماعة من المعاني الأساسية التي خاطب بها الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– الأقوام؛ خطاب التقوى، وهنا سؤال هو ينفع نخاطب الناس بالتقوى؟ يعني ينفع أكلم الناس وأقول لهم اتقوا الله –سبحانه وتعالى–؟ ولا كده هابقى أنا راجل شرس وراجل هجومي ومش راجل لطيف وظريف وبنفر الناس، وتجد واحد يقول لك إن منكم منفرين ازاي تكلمهم في التقوى وازاي تخوفهم؟ لا يا جماعة من المعاني المهمة بل من أصول المعاني الرئيسية، بل من أولويات المعاني الرئيسية خطاب التقوى، أَلَا تَتَّقُونَ، إن النبي –عليه الصلاة والسلام– أول معنى بلغه للناس لما أُمِرَ بالصدع، النبي –عليه الصلاة والسلام– صعد على جبل الصفا ونادى يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان، فالناس كلها اتجمعت، فقال لهم أسألكم سؤال، لو أنا قلت لكم حاجة تصدقوني؟ قالوا له نصدقك طبعا ما علمنا عليك كذبا قط، قال لهم لو أنا قلت لكم إن أنا وأنا واقف دلوقتي فوق الجبل ده إن من الناحية التانية من الجبل فيه جيش جاي يغزو مكة، تصدقوني؟ قالوا طبعا نصدقك، فقال: فإني نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، النبي أول حاجة علمها لهم؛ خوفهم، إن يا جماعة مسألة مخاطبة الناس بتقوى الله –سبحانه وتعالى–، مخاطبة الناس بالخوف من الله –سبحانه وتعالى–، مخاطبة الناس بالرهبة من الله –سبحانه وتعالى–.

والتقوى معنى عظيم معنى كبير، له معنى خاص ومعنى عام، ولكن خلينا مش هنعرف نفسر أوي في التقوى، لكن في هذا المقام مش مقامها يعني، لكن التقوى مش معناها بس الخوف ولكن لها أيضًا مدلولات أخرى شرعية، لكن مهم جدًا يا جماعة إن يعني أقصد لها مدلولات شرعية يعني أقصد إن هي لها أعمال تنبثق من هذا الخوف، من الاستسلام لأوامر الله –سبحانه وتعالى– واتباع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

هنا بيقولوا: أَلَا تَتَّقُونَ، عارفين لما واحد يقول له: انت مش خايف؟ انت مش خايف من ربنا؟ لاحظ إن الكلام هنا للناس مش للشعراء، لاحظ إن الكلام للناس مش للسحرة، هو بيخوف الناس من ربنا –سبحانه وتعالى–، السحرة والشعراء في هذا الوقت اللي هو في المرحلة اللي كان فيها البيان الدعوي في سورة الشعراء كان فيه تشويه إعلامي رهيب، كان فيه تشويه إعلامي شرس على الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، كانوا بيتكلموا على الأنبياء كلام صعب جدًا، يقول: "إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ" المؤمنون:٢٥، ويقولوا إن هو إلا رجل "يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

---

[٣] صحيح مسلم

عَلَيْكُمْ" المؤمنون:٢٤، بيقول لك ده واحد من الآخر كده طالب شهرة، والتاني ده طالب فلوس، والتالت ده واحد مجنون، والرابع ده واحد عايز ياخد الأرض يريد "أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" غافر:٢٦.

كانت وقتها في المرحلة دي كانت الأنبياء بيعانوا تشويه شرس من الملأ، الملأ الذين يملؤون أعين الناس، يعني كلامهم مسموع عند الجميع، فهنا؛ ودي نقطة مراعاة المرحلة إن البيان ده كان بيان في وقت الشعراء اللي ربنا –سبحانه وتعالى– نزّل جبريل بسورة الشعراء على النبي –صلى الله عليه وسلم– في مكة في وقت الاستضعاف الشديد، فكان هذا البيان يتعلم منه النبي –صلى الله عليه وسلم– دعوة الأقوام، وسنة الله –سبحانه وتعالى– في معاملة الخلق، وسنة الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وكيف يتعامل الناس مع بعضهم البعض في هذا الباب.

ثم قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" الشعراء١٠٦:١٠٧، هنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا إن الداعي بيعرف الناس بنفسه، فبيقول لهم: أنا مش طالب منكم حاجة إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، دي بشارة رحمة؛ إن هذه رسالة من خالق السماوات والأرض، بيقول لهم أنا مش جاي من جعبتي، أنا مش بقول لكم كلام من عندي، أنا ببلغك رسالة، الرسول اللي بيبلغ الرسالة، أنا جاي لك أبلغك رسالة خالق السماوات والأرض إليك، ده ربط قلب المدعو بالله –سبحانه وتعالى–، مش ربط قلب المدعو بك انت، مش ربط قلب المدعو بعلاقته بك انت، مش تعليق المدعو بك انت، إنما يشعر بالأهمية إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، كلمة لَكُمْ ده أنا جاي لك انت مخصوص، دي رسالة من الله خاصة لك، إن ربنا –سبحانه وتعالى– الذي خلق كل شيء يخاطبك أنت، فهذا فيه إشعار بأهمية المدعو وإشعار بأنها رسالة وإن الداعي إلى الله هو صاحب رسالة، مش جاي يضحك على الناس، ولا جاي ياخد من الناس حاجة، ولا جاي يلف ويدور عشان يطلب من الناس مأرب، وكلمة رَسُولٌ أَمِينٌ اللي هو أنا جاي أبلغكم بأمانة دون خيانة، اللي هو عارفين "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ" الشورى:٤٨، "بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" المائدة:٦٧.

ربنا بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام– بلغ، ومفيش آية ما بلغهاش، شوف ربنا بيقول عن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول إيه؟ بيقول: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" الحاقة٤٤:٤٧، شوفوا قوة الخطاب وربنا –سبحانه وتعالى– الله إله؛ وحده العزيز وحده القوي وحده الجبار، البشر؛ انت بتبلغ الرسالة، عليك فقط أن تبلغ الرسالة، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، من أراد أن يهتدي فليهتدي ومن أراد أن يضل فليضل، كل إنسان بيختار لنفسه وكل إنسان مسئول عن نفسه، لكن انت بلغ عليك إنك تبلغ، عليك إنك تبين، عليك إنك انت توضح، عليك إنك انت تعلم الناس، عليك إنك تنقل الناس في معاني واضحة وفي تدريج واضح علمك الله –سبحانه وتعالى– إياه، لكن "لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ" الغاشية:٢٢، هنا نقطة مهمة يا جماعة إن "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، الرسول بيقول للناس: إِنِّي لَكُمْ هو بيعرف الناس إن هو صاحب رسالة، وجاي يبلغهم رسالة من الله –سبحانه وتعالى–، وإنهم عليهم إن يختاروا، ويقول لهم: أنا أنقل لكم هذا بأمانة وإن أنا لا أغير شيء، وإن عليكم أن تختاروا وهذا ربكم كما هو ربي، وعليكم أن تختاروا في معاملتكم مع ربكم، وعليكم أن تحددوا موقفكم من كلام ربكم.

فقال الله –سبحانه وتعالى–: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، هنا نقطة تانية؛ من المعاني المهمة اللي ربنا –سبحانه وتعالى– كررها مسألة فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، هنا نقطة إن معنى التقوى هنا كان له مردود، إيه المردود؟ مردوده الطاعة، طيب الرسول كان بيقول فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، طب أنا كداعي إلى الله أو أنا كواحد عايز أدعو الناس إلى الله، هل أقول: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ؟ أطيعون ده مين؟ اللي هو انت يعني؟! يعني انت هتروح تقول للناس: أطيعوني؟

طيب ما هو انت مش الرسول، دي نقطة مهمة جدًا، أطيعوا شيخي، ما هو شيخك برضه مش الرسول، أطيعوا جماعتي؟ ما هي جماعتك برضه مش الرسول –صلى الله عليه وسلم–، إنما أيضًا هنخاطب الناس هنقول لهم: اتقوا الله وأطيعوا الرسول، إن احنا يا جماعة كلنا ينبغي علينا أن نطيع النبي –صلى الله عليه وسلم–.





كان من أول المعاني التي ينبغي أن يُخاطب بها الناس؛ تعلق قلوب الناس بالله –سبحانه وتعالى–، تقوى الله –سبحانه وتعالى– بإحساس إن هم الله يخاطبهم وقلوبهم تبقى متعلقة بالله –سبحانه وتعالى–، إحساس الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، أول أمر هو تقوى الله –سبحانه وتعالى–، وبعدين اعملوا في رضا الله –سبحانه وتعالى–، أطيعوا أوامر النبي –صلى الله عليه وسلم–، دي نقطة يا جماعة اسمها يعني إيه؟ عارفين المردود العملي، اللي هو طب أنا اتقي الله يعني أعمل إيه يعني؟ قال له لو انت عايز تتقي الله اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–، "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" آل عمران:٣١، إن معنى التقوى هنا مردوده العملي هو طاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ينبغي على الناس أو على الداعي إلى الله أن يعلم الناس منهج الأنبياء، عارفين يا جماعة ده خطاب تأصيلي، اللي هو إن أنا هاخاطب الناس، هاكلمهم أقول لهم إيه؟ أقول لها انت مهم انك انت تبحثي على سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، مهم انك انت تعرفي تحي النبي –عليه الصلاة والسلام–، مهم انك انت تتبعي النبي –صلى الله عليه وسلم–، ده خطاب عام، أنا لسه ماكلمتهاش لا في الحجاب ولا في طاعة الزوج ولا في تربية الأبناء ولا في الأكل من حلال ولا في الصلاة.

الخطاب هنا يا جماعة خطاب تأصيلي؛ إن الأول تقوى الله –سبحانه وتعالى–، ثم طاعة الأنبياء. وهنا مهم إن الداعي يفصل ما بين دعوته هو كفرد وبين دعوة أو طاعة الأنبياء، إن إذا كنا أُمِرْنَا إن احنا نكلم الناس عن طاعة الأنبياء فينبغي أن نفهم ذلك إن فيه فرق إن هم أطيعوني اللي هو أنا، وفرق إن أَطِيعُونِ اللي هو النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، وبعد كده ربنا –سبحانه وتعالى– بعد ما بين إن الأنبياء رسموا للناس منهج حياة، اللي هو قال له: انت عايز توصل لربنا –سبحانه وتعالى–، عايز تقرب إلى الله –سبحانه وتعالى–، أعمل إيه؟ قال له امشي ورايا، لو عايز تتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– تعمل إيه؟ ابحث عن طاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ابحث عن كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، انظر كيف أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– وافعل ما أمرك به النبي –صلى الله عليه وسلم–، يبقى ده منهج حياة، منهج اتباع الأنبياء، ده منهج تأصيلي.

ثم بعد ذلك: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الشعراء:١٠٩، هنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا في البيان الدعوي، إيه هي؟ إن ينبغي على الداعي إلى الله ألا يستفيد من الدعوة إلى الله بشيء خاص لنفسه، يعني الداعي إلى الله من علامات صدقه إن هو مابياكلش من الدعوة، إن هو مابياخدش مأرب من الدعوة، إن الدعوة مش بالنسبة له سبوبة، إن الدعوة مش بالنسبة له حاجة بيستغلها عشان يطلع منصب أو فلوس أو ارتقاء مجتمعي أو تسلط على الناس، إنما هو بيفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله –سبحانه وتعالى–.

ده يا جماعة من البيان الدعوي المهم الذي ينبغي أن يوضحه الدعاة؛ الذي نقله الله –سبحانه وتعالى– على لسان الأنبياء: هود ونوح وصالح وشعيب ولوط، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: قول لهم كده: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، بيقول لهم لو انتم متخيلين إن أنا جاي أدعوكم عشان آخد منكم صوت في الصندوق، ولا جاي أدعوكم عشان آخد منكم فلوس، ولا جاي أدعوكم عشان آخد منكم دورة تدوني فلوسها، ولا جاي أدعوكم عشان أبقى مشهور فأنال بالشهرة دي مكاسب، أنا لا أدعوكم لأجل ذلك، أنا لا أريد الأجر، الأجر يا جماعة ده شيء عطية معاوضة، يعني إيه معاوضة؟ يعني حاجة مقابل شيء فده اسمه أجر، فهنا بيقول لهم: أنا لا أسألكم عليه أجر، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، قال لهم أنا مش عايز منكم حاجة، أنا لا أريد منكم أي نوع من أنواع الأجر إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هنا ربنا –سبحانه وتعالى– يعلم الداعي إلى الله إن هو يخلص لله –سبحانه وتعالى–، وإن هو لا يسأل الناس بدعوته ولا يأكل بدينه، وإن هو مايستعملش الدين عشان يحقق مصالح شخصية، وده بحث ممكن نبقى نتكلم فيه بعدين، لا نتكلم هنا عن مسألة جواز لأخذ الأجرة على



تعليم القرآن، جواز أخذ الأجرة على الدعوة، ولا جواز أخذ الأجرة على بعض الأشياء، أنا لا أتكلم في هذا إنما أتكلم عن البيان الدعوي، ونتكلم عن أصول الدعوة، نتكلم عن قيم الدعوة، ما بتكلمش النهاردة عن استثناءات فقهية ولا بعض الأشياء التي يُتَرَخَّص فيها في بعض الأحيان لبعض الأشخاص، ولا عن بعض الأحكام الشرعية في بعض المسائل إنما أتكلم عن الأصل إن الدين يكون أعلى من المال، إن الدين أعلى من المنصب، إن الدين أعلى من الحكم، إن الدين هو سلطان، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بعث الأنبياء لا يريدون من الناس شيئا، والدعاة إلى الله والعلماء من بعد الأنبياء لا يعلمون الناس الدين لمن يدفع أكثر، لا يلبسون الحق بالباطل لمن يدفع أكثر، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا كما فعلت علماء بني إسرائيل الذين ذمهم الله –سبحانه وتعالى–، ولا يحرفون الكلم ابتغاء ما عند الناس، ولا يجعلون الدين قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا كما فعلت علماء بني إسرائيل وذمهم الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الكريم، ولا يغيرون الدين لأجل من يدفع اكثر أو لأجل مصلحة فلان أو علان، فالدين أعلى.

هنا ربنا يبرأ ساحة الدعوة ويأمر الأنبياء أن يخبروا الناس لا أسألكم عليه أجرًا، قال: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، لا أريد منكم منصبًا ولا مالًا ولا آخذ أجرًا منكم.

ثم بعد ذلك يذكرهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، وده متفاوت موجود في دعوة الأنبياء، عندك بقى على اختلاف المواجهات اللي هو مثلًا "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الشعراء١٣٢:١٣٥، يحذر الناس من المعاصي يخوف الناس من الدار الآخرة، وده فيه تغير على حسب الأقوام، يعني ممكن نفصل في كل قوم من الأقوام وكيف خاطب المرسلين الأقوام، لكن مهم جدًا يا جماعة مسألة إنه يُذَكِّر الناس بالله –سبحانه وتعالى– وتقوى الله، يُذَكِّر الناس باتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، يُعرف الناس أنها رسالة من الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أن الله اهتم بهم، وأن الله –سبحانه وتعالى– أجزل لهم العطاء ومن عليهم بأن بعث فيهم الأنبياء والمرسلين، ثمُ ذَكِّر الناس أن هذا ليس لأجل تحصيل مسألة دنيوية كما يفعله البعض، ولا أن هذا لتحصيل مكانة حتى تتبرأ ساحة الناس.

ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ" الطور:٤٠، قال له هو انت طلبت منهم فلوس، فهم خايفين إنهم يدفعوا فلوس لو أسلموا؟ فهنا نقطة إن من صفات الداعي إلى الله أن يبرئ ساحته، وأن تكون الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ثم التذكير بالدار الآخرة، والتذكير بنعم الله –سبحانه وتعالى– وعطاء الله –سبحانه وتعالى– "أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ".

واحنا في قصص الأنبياء تكلمنا في هذا كثيرًا من أراد أن يراجع قصص الأنبياء أيضًا موجودة على الساوند كلاود وموجودة على اليوتيوب اللي عايز يسمع في مسألة قصص الأنبياء وازاي على اختلاف بقى معاصي الأقوام التي واجهها الأنبياء، كيف واجه الأنبياء معاصي أقوام؟ يذكرهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، ثم يحذر من أولويات المعاصي، ده متغير؛ يعني سيدنا لوط تكلم في معصية قومه اللي هي الشذوذ، وسيدنا شعيب تكلم في معصية قومه اللي هي التطفيف في المكيال والميزان، وسيدنا نوح تكلم في معاصي قومه من إن هم كانوا يخترعون دين؛ ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وسيدنا إبراهيم تكلم مع عباد الأصنام، وتكلم مع عباد الكواكب وتكلم مع الملحدين إن ازاي إن هو بيخاطب هؤلاء على قدرهم، بيخاطب كل الناس على قدر ما يحتاجون إليه، ويصل الأمر بين الدعاة والأقوام في الآخر خالص بعد البيان الدعوي القوي إلى نوع من أنواع المفاصلة: "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ" الشعراء:١١٦، "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ" الشعراء:١٦٧، يا جماعة الأنبياء لم يتركوا شيء لم يتكلموا فيه، يعني مع نوح –عليه السلام– كان فيه طبقية في المجتمع يقولوا: "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ" هود:٢٧، ازاي الأنبياء واجهوا هذه الطبقية في المجتمع؟ وازاي إن الناس رفضت دعوة سيدنا نوح –عليه السلام– لأنها تساوي بين الجميع، وتعدل بين الجميع، وتجعل الناس كلها سواء في عبودية الله –سبحانه وتعالى–، وازاي



سيدنا نوح عانى مع قومه لما صدوا عن سبيل الله، ورفضوا الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– لأنهم يعترضون على أن يكون هناك أراذل في وسطهم، وازاي إن هم يتكلموا بهذا الكلام كما قال الله –سبحانه وتعالى-: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ –هو بيقول لهم هو أنا مالي باللي انتم بتقولوه ده؟– إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ –قالوا له ما تمشيش مع فلان وعلان واحنا نصاحبك، بص ماتساويناش بالناس دي، قال الله –سبحانه وتعالى– وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ –قال لهم أنا جاي أخوفكم من ربنا –سبحانه وتعالى–، أنا جاي أبلغكم رسالة الله –سبحانه وتعالى–، ثم بعد ذلك تحملوا تبعات اختياراتكم– قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ" الشعراء١٠٥:١٢٠.

المرة اللي فاتت تكلمنا واحنا بنتكلم في فضل الدعوة إلى الله قلنا إن الدعاء ينجون أولًا، شوفوا في لحظة مواجهة قوم نوح لنوح –عليه السلام–، ربنا بيقول: فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ أول حاجة صدر أمر النجاة للدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ، وبعد كده صدر الأمر بإهلاك الأقوام، قال: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٢١:١٢٢، هنا نقطة مهمة، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: هذه عبرة وهذه آية ينبغي أن يتفكر فيها أهل الإسلام.

كذلك حارب الدعاة مع الجيوش الجبارة، مع المتقدمين عسكريًا، سيدنا هود –عليه السلام– وهو بيخاطب القوم المترفين، الذين لهم مصانع ومباني متقدمين في السلاح والقوة، عندهم كل الخيرات، فكيف ذَكَّرهم هود –عليه السلام– بنعم الله –سبحانه وتعالى–؟ قال –تعالى–: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" الشعراء١٢٣:١٢٦، لاحظوا نفس الكلمات بتتكرر، نفس الكلمات أخوهم هود أخوهم نوح، ألا تتقون، إني لكم رسولٌ أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، ثم بدأ هود –عليه السلام– يُذَكِّر عاد بنعم الله –سبحانه وتعالى–: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ" الشعراء١٢٨:١٣٠، بيقول لهم: هو انتم عندكم قوة وقاعدين تتجبروا على الناس وتتكبروا على الناس، "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الشعراء١٣١:١٣٥، ذَكَّرهم بالدار الآخرة، "قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ –قال تعالى– فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٣٥:١٤٠.

حرب الدعاة أو مواجهة الدعاة مع أصحاب الأسباب الدنيوية وأصحاب التقدم المعماري وأصحاب التقدم الصناعي وأصحاب التقدم الاقتصادي. سيدنا صالح مع قومه ثمود وكانوا متقدمين في البناء ولهم اقتصاد قوي وكيف ذَكَّرهم صالح –عليه السلام– بنعم الله –سبحانه وتعالى– وأن الله هو الذي أمَّنهم وهو الذي أَمَدَّهم وهو الذي جعل لهم الجنات ووفر لهم عيون الماء ليشربوا منها، الله –سبحانه وتعالى– هو الذي رزقهم الزرع والنخيل والثمار وأن بيوتهم التي يسكنون فيها وقوتهم في النحت والبناء كل هذا من فضل الله –سبحانه وتعالى– عليهم، لكن هؤلاء أيضًا تجبروا ورفضوا دعوة صالح –عليه السلام–.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ – لاحظوا إن مقدمة البيان الدعوي عند الأنبياء في سورة الشعراء إيه؟ واحدة، وهذا يدل على الأهمية ويدل على أهمية هذه القيم، قال:– وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ –لحد هنا نوح وهود وصالح نفس الكلام مشتركين فيه، ثم بعد ذلك: أَتُتْرَكُونَ فِي مَا



هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ –بدأ يخوفهم على دنيتهم، قال لهم انتم فاكرين الحاجات دي هتفضل مستمرة، انتم فاكرين الحاجات دي هتفضل موجودة، الحاجات دي من نعم الله –سبحانه وتعالى– وأنتم تتجبرون بها على طاعة الله –سبحانه وتعالى– قال:– وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٤١:١٥٩.

ثم حرب الدعاة ومواجهة الدعاة مع الشهوات والمجتمع الشهواني، سيدنا لوط –عليه السلام– الذي واجه هؤلاء القوم الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، هؤلاء الذين كانوا يبتدعون ويخترعون المعاصي، عندهم شذوذ فكري وشذوذ جنسي، فأنكر عليهم لوط –عليه السلام– وذهب إلى من يرتكبون المنكر، ولم يكتفي لوط –عليه السلام– بأن يجلس في مكانه بل اخترقهم وتكلم معهم ونصحهم ودعاهم إلى الله –سبحانه وتعالى–، وبيّن لهم ظلمهم واعتداءهم وأدّى ما عليه من البلاغ المبين، فلما رفضوا النصح هددوه بالإخراج والنفي، فأعلن أنه بريء من هذه الأعمال المشينة، وأنه بلغهم ودعا ربه –سبحانه وتعالى– أن ينجيه من كيدهم.

فهكذا الدعاة وهكذا الدعوة تستمر من مرحلة إلى مرحلة حتى تصل إلى نهاية التحدي، قال –تعالى–: "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ –قال لهم هو انتم بتعملوا الفعل الفاحش ده؟– أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ –قال لهم ده اعتداء ده ظلم– قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ –قالوا له لو انت ما سكتش احنا هنخرجك برانا– قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ –قال لهم أنا أترك هذا أهجر هذا، عارفين ما ودعك ربك وما قلى، يعني هجرك، إني لعملكم من القالين، يعني أنا سأهاجر وأترككم، قال:– رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ –قال يا رب نجني من هؤلاء، لأن هؤلاء توعدوا لوط –عليه السلام–، قال تعالى:– فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٦٠:١٧٥.

قصة شعيب –عليه السلام–، وكان قومه تجار يُخْسِرون الميزان ويطففون المكيال، ويغشون في البيع، ويبخسوا الناس أشياءهم، فاتهموا شعيب –عليه السلام– بالكذب، وهكذا يتهمون كل من بلغ دين الله –سبحانه وتعالى–.

قال –تعالى–: "كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ –سيدنا شعيب اخترق هؤلاء ونزل كلم هؤلاء ما كلمهمش في الشذوذ، ماكلمهمش في مسألة هم مش عايشينها، إنما كلمهم في واقعهم وأولوياتهم هم، أولويات الحياة اللي هم عايشينها، كلمهم الأول عن ربنا وعن طاعة ربنا وعن عظمة ربنا وعن الدار الآخرة، وكلمهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، ثم أنكر عليهم المعاصي التي يعيشونها في حالهم وفي واقعهم، قال الله –سبحانه وتعالى– إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ –قال لهم البيع والشراء اللي انتم بتبيعوه ده حرام، الموازين اللي انتم بتتعاملوا بها ده حرام، انك انت تطفف المكيال والميزان ده حرام، انك انت تتعامل بموازين مختلفة ده ظلم، قال الله –سبحانه وتعالى– وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ *



فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٧٦:١٩١.

الشعراء والملأ عبر العصور يواجهون الأقوام، قالوا لشعيب: انت كذاب، وقالوا للوط: انت مسحور، وقالوا لنوح: انت ضعيف ومجنون، وشتموا النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولكن الله –سبحانه وتعالى– ذكر ذلك للنبي –صلى الله عليه وسلم– وذكر قصص الأنبياء في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– حتى يقتدي النبي –صلى الله عليه وسلم– بهؤلاء، وحتى يعرف النبي –صلى الله عليه وسلم– أن هذه سنة الله –سبحانه وتعالى– في المعاملة، وأن الأقوام لهم دأب معين، لا ينبغي على الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– إن هم يتركوا الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– لبعد الناس عن الله، إنما ينبغي أن يخترقوا الناس وأن يكلموا الناس وأن يبلغوا دين الله –سبحانه وتعالى–.

إن الدعاة إلى الله يعيشوا كما يعيش الناس، إن هم الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– يسيروا في وسط الناس يأكلون كما يأكل الناس ويعلمون الناس أولويات الدين، ويظهرون ويبينوا للناس نعم الله –سبحانه وتعالى– وعطاءات الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– مطلع على كل شيء محيط بكل شيء، وأن الله –سبحانه وتعالى– كل الخير منه –سبحانه وتعالى–، ثم رد الشبهات وازاي إن ممكن تكون شبهة مثلًا واحد من الناس يظنها شبهة بتمنعه من إن هو يفهم، وازاي الأنبياء ردوا الشبهات الناس ثم يستكمل النبي، خدوا بالكم يا جماعة إن الأنبياء ما كانوش حد بيوديهم ويجيبهم، إنما هم ينفذون أوامر الله –سبحانه وتعالى–، يبلغون دين الله –سبحانه وتعالى–، يعني هو مش كل واحد في المجتمع هيوديه في حتة ويجيبه من حتة، إنما هو له خط سير واضح، هو له أولويات واضحة، هو عارف هدفه وعارف هو عايز إيه من الناس.

الوقت مر سريعا ولكن نكتفي بهذا القدر في مسألة إن احنا يا جماعة محتاجين البيان الدعوي، محتاجين نفهم احنا هنكلم الناس في إيه؟ محتاجين نفهم احنا عايزين إيه؟ محتاجين نفهم أولويات الشرع إيه؟ محتاجين نفهم أولويات الناس إيه؟ محتاجين نعرف إيه الحاجات الرئيسية التي ينبغي أن نفعلها وأن نكلم الناس فيها، وطبعا كل ذلك ينبغي أن يكون على معيار الوحي، يعني ينبغي أن يكون ده متخذ من الوحي، ينبغي إن احنا نبحث في الوحي، وندور في الوحي ونفكر كيف عالج النبي –صلى الله عليه وسلم– الناس؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– سلوكيات الناس؟ كيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– الأفراد؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– الأعمال؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– المجتمع؟ كيف تغيرت الأخلاق؟ وكيف تغيرت العقائد؟ وكيف تغيرت حياة الناس؟ إن مش كله زي بعضه، هل يخاطب الصغير كالكبير؟ لا، هل يخاطب العالم كالجاهل؟ لا، هل أولويات الناس زي بعضها؟ لا، لكن مهم إن احنا نفهم ونبحث وندور من كلام الله ومن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى نستطيع أن نصل في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– إلى باب من أبواب الإحسان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



